

مَصْرَعُ الْخُلَفَاءِ

مَشَاهِدٌ رَائِعَةٌ نَقَلَهَا عَنِ الشَّيْخِ

ك. ك.

مصراع علي (١)

هم ضربوا حيدرا (٢) ساجدا وحبك من عمر اذ طمن

« أبو العلاء »

تمهيد

من ذكر عليا فقد ذكر أسمى الصفات الانسانية.

النزاهة ، الاستقامة ، الشجاعة ، الصراحة ، النبيل ، التوبة ، الفطنة

(١) رابع الخلفاء الراشدين ، مكث في الخلافة أربع سنين وتسعة أشهر ،

وقتل سنة ٤٠ هـ كنيته أبو الحسن واسم ابيه أبو طالب

ولي (علي) الخلافة بعد مقتل عثمان بعد ان بايحه أهل الحجاز وكان يستتب له

الأمر لولا الفتنة التي أضرم نارها معاوية متخذاً من مقتل عثمان ذريعة لتحقيق امله

في الخلافة والوقوف في وجهه علي

صفته

قالوا :

هو رجل آدم ، شديد الأدمة ، ثقيل الينين عظيمهما ، أصلع ، ذو بطن ،

وهو الى القصر أقرب

(٢) يعني علي بن ابي طالب ، وقبل هذا البيت يقول أبو العلاء :

وان اوجز ما يقال في علي انه اقتبس اكبر قسط من اخلاق النبوة ؛ وعرف
كيف يستفيد من اخلاق الرسول
ربما قال قائل : —

ولكن عينا كان شديد البطش ؛ وقد انت الناس من ليونة عثمان ما جعلهم
ينفرون من الشدة !

ذلك حق ، وليت علينا - رضي الله عنه - تربث قليلا فلم يعزل بعض الولاة
ومهم يعزل الباقيين قبل ان يستتب له الأمر ، وتستقر له الخلافة ؟ ولكنها الصراحة
تأبى عليه ان يعلن خلاف ما يضر ، والغيرة على الحق تدفعه الى الذود عنه ،
جالبا عليه من عداوة الناس ما جلب !

كان عثمان لينا فاطمع لينة الناس فيه ، وكان (علي) شديدا ، فانتفع خصومه
بهذه الشدة ، فاستمالوا الناس اليهم بما أوتوه من دهاء وحذق ، وحسبك ان تعلم أي
قوتين هائلتين من قوى العالم النادرة ، كانتا تناوئانه لتلمس له الف عذر !

تقد تعاونت سياسة معاوية ، ودهاء ابن العاص ، على استغلال صراحة علي
واستقامته ، فلم يتركا وسيلة من وسائل المكر والحيلة الا سلكها ، ولا دعوى
من دعاوي الكيد الا أذاعها ، حتى اوهما أنصارهما انه قاتل عثمان وانه مستميت
في طلب الخلافة ، بل نجلاه ما هو أكثر من ذلك وأشنع ، والصقابه من الصفات
ما يعلمان علم اليقين أنه أبعد الناس عنها ، وأشدهم براءة منها

حب القاريء أن يذكر المثال التالي ، ليعرف مدى دعايتها ، ومقدار
ما تحدته مثل هذه المقتربات في نفوس الناس والهاب قلوبهم حماسا وبغضا لعل !
قال بعض من شهد تلك المعارك الهائلة :

« فأنهم لكذلك اذ خرج عليهم فتى شاب وهو يقول :
انا ابن أرباب الملوك عثمان والداثن اليوم مدين عثمان

لقد فقدت الحين بين الأنام . والشرف في كل وجه ومن

اعن بحميل اذا ما حضرت وعد بالسكوت اذا لم تكن

ان جاءك الموت فافرح به . لتخلص من عالم قيد لعين

اني انباني خبر فأشجان ان عليا قتل ابن عفان .
ثم يشد ، فلا ينثني حتى يضرب بسيفه ، ثم يشتم ويلعن ويكثر الكلام ،
فقال له (هاشم بن عتبة) :

« يا سيد الله ان هذا الكلام بعده الخصام ، وان هذا التمثال بعده الحساب ،
فاتق الله ، فانك راجع الى الله فساألك عن هذا الموقف ، وما أردت به ! »
قال : « فاني اقاتلكم لأن صاحبكم (١) لا يصلي ، كما ذكر لي ، وانتم لاتصلون
أيضا ، واقاتلكم لأن صاحبكم قتل خليفتنا وانتم اردتوه على قتله (٢) ! »

(١) يعني عليا

(٢) قالوا : فاجابه هاشم :

« وما انت وابن عفان ، انما قتله اصحاب محمد وأبناء أصحابه وقرأ الناس حين
أحدث الأحداث ، وخالف حكم الكتاب وهم أهل الدين واولى بالنظر في امور
الناس منك ومن اصحابك ، وما أظن أمر هذه الامة وأمر هذا الدين أهمل
طرفة عين ! »

فقال له : « أجل والله ، لا اكذب قان الكذب يضمر ولا ينفع »

قال : فان أهل هذا الأمر أعلم به ، نغله وأهل العلم به !

قال : ما أظنك والله الا نصحت لي !

قال : « وأما قولك : ان صاحبنا لا يصلي ، فهو أول من صلى وأفقه خالق الله

في دين الله ، واولى بالرسول !

وأما كل من ترى معي فكلمهم قازي ، لكتاب الله لا ينام الليل مهجدا ، فلا يفونك

عن دينك هؤلاء الاستقياء المنزورون

فقال النبي :

اني أظنك امرا صالحا ، فتخبرني هل تجد لي من توبة

فقال : نعم يا عبدالله ! تب الى الله يتب عليك ، فانه يقبل التوبة عن عباده ،

ويعفو عن السيئات ويحب المتطهرين !

قال : فحشر والله النبي الناس راجعا

فانظر الى أي مدى طوح بهما السكيد لعلي بن أبي طالب والزرغبة في تأليب الناس عليه!

على أن عليا ظل منتعرا رغم كل هذه الدرائس، وكلا يتم له الأمر لولا حيلة ابن العاص التي لبأ اليها أخيراً، حين رفع المصاحف ودعا علياً الى التحكيم، فافترق أصحابه شيعاً، ودب في صفوفهم ديب الشقاق والفتنه، وانتهى الأمر بتصرعه المروع

ليلة المصرع ! وساعة الهول !

قال محمد بن الحنفية :

كنت والله ، واني لأصلي تلك الليلة التي ضرب فيها علي ، في المسجد الأعظم في رجال كثير من أهل المصر ، يصلون قريباً من السدة ، ما هم الا قيام وركوع وسجود ، وما يأمون من أول الليل الى آخره اذ خرج علي لصلاة العداة ، فجعل ينادي :
أيها الناس ! الصلاة ! الصلاة !

فما أدري أخرج من السدة فتكلم بهذه الكلمات أم لا !

فقال له رجل من أهل الشام :

« خدعك العراقي ! خدعك العراقي !

قال : « لا ، ولكن نصح لي ! »

الار ترى الى هذا الصنف من الناس يستميله رأي فيعتقه ، ولا يحجم عن بذل آخر قطرة من دمه في سبيل نصرته وتأييده ، فاذا سمع رأياً يناقضه عدل عن رأيه الأزل

ربك كم يكون تأثير مثل معاوية وابن العاص على مثل هذا من الناس ، وأحب أن أنيه التاريخ ، الى نقطة هامة في قول هشام هذا ، ذلك أنه يؤيد في كفته — أو هو على الأقل — لا يحاول نفي تهمة قتل عثمان عن علي ، تلك التهمة التي يبني عليها خصومهم كل دعاوهم الطويلة !

فنظرت الى بريق وسمعت : « الحكم لله يا علي ! لا لك ولا لأصحابك »
 فرأيت سيفاً ، ثم رأيت ثانياً ، ثم سمعت علياً يقول :

« لا يفوتكم الرجل ! »

وشد الناس عليه من كل جانب

قال : فلم أبرح حتى أخذ « ابن ملجم » وأدخل علي « علي » فدخلت فيمن
 دخل من الناس ، فسمعت علياً يقول : « النفس بالنفس » إن أنا مت فاقتلوه كما
 قتاني ، وإن بقيت رأيت فيه رأيي ! »

وصاياه قبل موته

وقبل أن تفيض روحه الطاهرة الى بارئها ، تقيّة بارة ، رسم لبيته صورة
 يحذونها ، أوجز ما نصفها به أنها تمثل مزجه وتصف ما امتازت به نفسه من خلال
 عالية و اخلاق سامية فريدة ، هي جماع النضائل :

قالوا : ان أحد الناس قد دخل عليه ، فسأله :

يا أمير المؤمنين ! إن فقدناك — ولا نفتقدك — فنباع الحسن ،

فقال : « ما أمركم ولا أنهاكم ! أنتم أبصر ! »

فرد عليه مثلها

قالوا : « فدعا حسنا وحسينا ، فقال : »

اوصيكم بتقوى الله ، وألا تبغيا الدنيا وان بغتكما ، ولا تبكيا على شيء زوي
 عنكما ، وقولا الحق ، وادرحا اليتيم ، واغنيا الملهوف ، واصنعوا للأخرة ، وكونوا
 للظالم خصما ، وللمظلوم ناصرا ، واعملوا بما في الكتاب ، ولا تأخذوا في الله لومة لائم
 قالوا : « ثم نظر الى محمد بن الحنفية ، فقال : « هل حفظت ما أوصيت به

أخويك ؟ قال : « نعم ! »

قال : « فاني أوصيك بمشله ، واوصيك بتوقير اخويك العظيم حقها عليك
 فاتبع أمرهما ، ولا تقطع امرأ دونهما ! » ثم قال :

اوصيكم به ، فانه شقيقكما وابن ابيكما ، وقد علمنا أن أباكما كان يحبه وهكذا
 الى آخر هذه الوصية الناهية الخالدة

وصيته الآخيرة

قالوا : « فلما حضرته الوفاة أوصى فكانت وصيته :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أوصى به (علي بن أبي طالب) ، أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون ! ثم إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له ، وبذلك أمرت ، وأنا من المسلمين ،
ثم أوصيك يا حسن ، وجميع ولدي وأهلي ، بتقوى الله ربكم ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، فإني سمعت أباً لتمامي — صلى الله عليه وسلم يقول :

« إن صلاح ذات البين أنزل من عامة الصلاة والصيام ! »

انظروا إلى ذري أرحامكم فصلوهم ، يهون الله عليكم الحساب ، والله في الأيتام ، فلا تعنوا أنوَاهِم ، ولا يضيعن بحضرتكم ، والله في جيرانكم ، فأنهم وصية نبيكم ، صلى الله عليه وسلم — ما زال يوصي به حتى ظننا أنه سيورثه ، والله الله في القرآن ، فلا يستنكم إلى العمل به غيركم وهكذا إلى أن يقول :

« والله الله في التتراء ، والساكين ، فأشركوكم في معاشكم ، والله الله فيما ملكت أيديناكم » ثم يقول : « ولا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيولي الأمر شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم ، وعليكم بالتواصل والتبادل وإياكم والتدابير والتمتع والتمفرق ، وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الأثم والعدوان ، واتقوا الله ، إن الله شديد العقاب ! حفظكم الله من أهل بيت وحفظ فيكم نبيكم ، أستودعكم الله ، وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله !

الجملة الآخيرة

قالوا : « ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله » حتى قبض ، رضي الله عنه ، وهكذا انتهت حياة هذا البطل ، وختم تاريخه الحافل بمجلائل الأعمال !
وسنجد أهم الأسباب التي أدت إلى مصرعه ، في العدد القادم إن شاء الله !